قصة قصيرة
نادي الفروسية
بوقفة رؤوف

جلسـت بجانبـه فـي الحافلـة، حافلـة خـط تبسـة - الجزائـر العاصـمة، بعد ربع ساعة تنطلق لنبدأ رحلة سفر تستغرق سبعة ساعات.

شاشـة التلفـاز سـتعرض فـيلم مبـاراة ملاكمـة فـي سـجن روسـي اسـمه يـوري بويكـا، فيمـا اعتقـد فانـا لسـت جيـد فـي تـذكر الأسـماء الأجنبيـة، بعـده مسـرحية الـزعيم لعـادل امـام ثـم ننتقـل الـى موجـة جيـل أف ام الاذاعيـة لنسـتمع لأغـاني شـبابية وقبـل الوصـول بسـاعة يختـتم بنـا السـائق الرحلـة بانتقالـه الـى إذاعـة القـران الكـريم، هـذا هـو برنامجـه فـي الرحلـة منـذ مـدة مـن الزمن.

أسـمر البشـرة سـنه يبـدو بـين الخمسـين والسـتين، صـحته جيـدة فهـو لـم يعـدل وضـعية جلوسـه ولـم يشـكو رغبتـه فـي النـزول للتبـول ولـم يخـرج أي علبـة دواء ليتناولهـا، عينـاه مثبتتـان فـي الفـراغ، مـع ابتسـامة خفيفـة وملامـح جـادة كأنـه فـي وضـعية اسـتعداد ولـيس وضـعية اسـترخاء مثـل بقيـة الركـاب، شفتيه تتمتمان بكلمات كأنها خشخشة او ترنيمة ...

السـفر بالنسـبة لـي رحلـة عـذاب، كـأني فـي منطقـة جـرداء تطـاردني ارقـام وعقـارب السـاعة المسـعورة، تحـاول النيـل منـي وانـا اركـض فـي ذعـر، اجـري اتعثـر، أسـقط، أقـوم، أواصـل الـركض وتواصـل المطـاردة، اتصـفح الفايسـبوك، التـويتر، الانسـتغرام، أحـاول مشـاهدة اليوتيـوب فسـرعة النـت تجعـل الصـغير يشيب

أحـدث نفسـي بضـرورة شـراء سـيارة مسـتعملة ثـم اقـارن بـين أسـعارها المرتفعـة، انتقـل بعـدها لأسـعار الخضـر التـي تكـاد تصـبح كماليـة ثـم حـرب روسـيا فـي اوكرانيـا هـل سـتقوم حـرب نوويـة؟ هـل هـي نهايـة العـالم سـيحل يوم القيامة؟

يصفر وجهي

- يـوم القيامـة (قالهـا بصـوت مسـموع وهـو ملتفـت بوجهـه نحـوي، يـا إلهـي هل كنت أكلم نفسي في صمت؟)
- ماذا اعدت ليوم القيامة؟

(التزمـت الصـمت لـيس لأنـه لا إجابـة لـي فانـا محـاور جيـد، لكـن ريقـي جـف، لساني ثقيل كأنه خدر)

- لمـاذا مـا زلـت تجـري وتتعثـر وانـت فـي هلـع تلتفـت وراءك مخافـة ان تبطش بك ارقام وعقارب الساعة المسعورة؟

(انتظـر لحظـة مـن أخبـره بـأمر العقـارب والأرقـام التـي تطـاردني، انـه حـديث نفسي داخلي لم اشاركه مع أي أحد؟

هـل يمكـن أكـون كتبتـه فـي حسـابي علـى الفايسـبوك ونشـرته وانـا لا أدرى؟

كفـى جنونـا، حتـى لـو كتبتـه، هـو لـم يخـرج هـاتف وتصـفحه، لـم يتحـرك، بصره شاخص في شيء لا مرئي ويتمتم

نعـم انـه يتمـتم بكـلام غـر مفهـوم، عزيمـة، تـرانيم، تعويـذة، أي مـا يقولـه فهـو مركـز فيـه مسـتغرق فيـه، انـه يقـرأ افكـاري اذن يسـمع أحاديـث نفسـي هـذا هو التفسير الوحيد...)

- تشـبيه رائـع وصـف جميـل ان تصـور حيـاة الانسـان برحلـة هـروب هـو يجـري والوقـت يطـارده، لكـن مـا الـذي جعـل الأرقـام وعقـارب السـاعة حيوانات مفترسة تسعى للنيل منك؟

حتـى ولـو خلقـت حيوانـات بريـة الـيس بمقـدورنا استئناسـها، تـدجينها، ان تكون حامية ومدافعة عنا؟

القلـب متقلـب، كخيـل بـري، خلـق حـر، يعشـق الـركض والجـري، يريـد ان يكـون سـيد نفسـه، ونحـن مـأمورين بترويضـه، ترويضـه لا قتلـه او تعذيبـه او سـجنه او تعنيفـه، ترويضـه يعنـي ان نجعـل نمـط عيشـه بنظـام، وفـق قـانون، ان نحبـه، نحترمـه، لا نلغـي شخصـيته وفـي نفـس الوقـت لا نتركـه علـى هواه، يعتقـد فـي نفسـه الربوبيـة، يفعـل مـا يشـاء وقـت مـا يشـاء، دون اعتبـار لاحد.

هـذا هـو الفـرق بـين قلـب ادم وقلـب ابلـيس، كلاهمـا خلقـا فرسـين بـريين حرين.

كـان ادم فارسـا، نجـح فـي تـرويض قلبـه، امـا ابلـيس فـرفض تـرويض قلبـه وتركـه علـى هـواه، بـل شـجعه وأصـبح مثلـه، فـارس دون اخـلاق الفروسـية، فارس دون آداب الفروسية، فارس دون قوانين الفروسية.

لقـد نجـح ادم فـي اختبـار الفروسـية فأصـبح الفـارس النبيـل، بينمـا فشـل ابليس في اختبار الفروسية.

وهـذا هـو سـر الخلافـة، سـر اختيـار ادم ليكـون خليفـة الأرض، لأنـه روض فـرس قلبـه وجاهـد هـوى فـؤاده، لأنـه فـارس نبيـل جعـل مـن قلبـه فـرس مدربة، فرس مطيعة تستحق اسم فرس.

امـا ابلـيس فانـه لـم يـزك قلبـه، لـم يحـاول ويجاهـد ان يرتقـي بـه بالتـدريب والتعلـيم والصـبر والمجاهـدة، بـل نـزل هـو الـى مسـتواها الحيـواني، فأصـبحا يرتعا معا يأكلا ويشربا ويتغوطا في أي وقت ومكان دون حساب لأحد.

ان الشـقي يـا ولـدي هـو الـذي يتخـذ نفسـه الهـا يعبـدها دون الله، وذلـك بـان يجعـل امـره بيـد نفسـه لتسـحبه معهـا فـي دركاتهـا الحيوانيـة، بـدل ان يرقيهـا معه في درجات الفروسية.

لا تنظـر لـي مشـدودا مدهوشـا هكـذا، سـتتوقف الحافلـة بعـد خمـس دقـائق، لا تأكـل فـي المطعـم الـذي تقـف امامـه الحافلـة ولا فـي المطعـم الملاصـق لـه، خلـف المطعـم سـتجد كشـك مغلـق بابـه، مضـاء واجهتـه، اطـرق البـاب وادخل.

صـوت السـائق يعلـن عـن موعـد وجبـة العشـاء، الحافلـة تتوقـف، التفـت لا أجد أحد يجلس جانبي، يبدأ الركاب في النزول

بقيت انا الأخير

هل كنت احلم؟

هل هو حلم يقظة؟

بصعوبة أقف، اجر رجلاي

تجـاوزت المطعـم وبالفعـل وجـدت كشـك بابـه مغلـق واجهتـه مضـاءة، رسـم حصـان ابـيض مجـنح لـه قـرن واحـد مرسـوم علـى بابـه، تعلـوه جملـة بـالخط الكوفي: نادي الفروسية.

هل أدخل؟